علاقة الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين

ظروف نشأة تنظيم الضباط الأحرار

كان نشاط التنظيم السري للضباط التابع للإخوان المسلمين قد توقف قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وبعد الحرب كان لقاء عبد الناصر بإبراهيم عبد الهادي لذا حرص عبد الناصر على أن يقطع صلته بالتنظيم السري القديم ويبدأ تنظيماً جديداً من عناصر التنظيم السري للإخوان المسلمين في القوات المسلحة ومن عناصر أخرى من الضباط الذين قاسموه محنة الفالوجا .

وعن هذا التنظيم الجديد يقول حسين حمودة في مذكراته : " قال لي جمال عبد الناصر : إنه بموت حسن البنا ومحمود لبيب انقطعت صلة الإخوان المسلمين بالتنظيم السري لضباط الجيش الذي بدأه محمود لبيب سنة ١٩٤٣ ، وأنه يرى لدواعي الأمن قطع الصلة بعبد الرحمن السندي رئيس التنظيم السري المدني لشباب الإخوان وبخاصة بعد الحديث الذي دار بين جمال عبد الناصر وإبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء بشأن قيام عبد الناصر وبعض رفاقه من الضباط بتدريب شباب الإخوان المسلمين على استعمال الأسلحة قبل حرب فلسطين.

وقال إن تسرب هذه الأنباء للحكومة ربما كان بسبب تعرض بعض شباب الإخوان المسلمين المعتقلين في عهد إبراهيم عبد الهادي للتعذيب في السجون بواسطة رجال البوليس السياسي.

فوافقته على عدم الاتصال بعبد الرحمن السندي ضماناً لأمن تنظيم الضباط ولكني تناقشت مع جمال عبد الناصر في الشروط الواجب توافرها في الضباط الذين سنضمهم للتشكيل الجديد .. فقلت لجمال عبد الناصر إننا انضممنا للإخوان على أساس مبادئهم التي اقتنعنا بها وهي أن يكون الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبينا ﷺ فقال اطمئن من هذه الناحية فما دام زمام الأمور سيكون في يدنا فسوف نحكم بالقرآن الكريم إن وفقنا الله في الاستيلاء على السلطة في مصر .

وقال جمال عبد الناصر : إنه اتفق مع محمود لبيب على أن يكون اسم التنظيم الجديد " الضباط الأحرار " حتى تبعد الشبهة عن الإخوان المسلمين وكان ذلك قبل وفاة محمود لبيب ، وقال عبد الناصر : إن التنظيم الجديد لن يكون على أساس المعرفة والصداقة كالتنظيم السابق الذي بدأه محمود لبيب سنة ١٩٤٣ فتلك كانت مرحلة تحضيرية لا بد منها.

أما التنظيم الجديد فيتمشى طبقاً لتنظيم الجيش فسنحاول أن نوجد لنا في كل كتيبة أو وحدة من وحدات الجيش خلية من الضباط الأحرار حتى يمكن السيطرة على الجيش عند قيام الثورة . " [1]

ولقد أكد رواية حسين حمودة حول علاقة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين كثير من الضباط الأحرار –كما سبق ذكره في الفصل السابق – ولقد قام توفيق إكليمندوس [2] ولمدة ٢٠ عامًا بالغوص في شهادات

([1]) حسين حمودة " أسرار حركة الضباط الأحرار و الإخوان المسلمون " مرجع سابق ص ٧٤,٧٥.

([2]) باحث بالمعهد الفرنسي للدراسات القانونية والاجتماعية والاقتصادية وأستاذ العلوم السياسية والتاريخ في باريس.

جيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م عبر لقاءات مع ضباط الصفين الأول والثاني والتنقيب في سِيَر مَن تعذر الوصول إليهم- لأسباب الوفاة مثلاً- وذلك خلال دراسته المطولة والمعنونة بـ"النشاط السياسي في الجيش المصري من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م ." ومن مجموع هذه الشهادات تتأكد الحقيقة التي توصل إليها الباحث الفرنسي، وأكدها من قبل الإخوان المسلمون أن : تنظيم الضباط الأحرار هو في الحقيقة تنظيم الإخوان الضباط بالجيش، وأن مؤسسه والمسئول الأول عنه هو الصاغ محمود لبيب ، وأن أول أعضائه المؤسسين الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرءوف، والذي تمكن من ضم باقي أفراد الخلية الأولى في التنظيم . [1]

وأن هذا التنظيم ظلَّ مستمرًّا في انتظام وتوسع حتى قيام حرب فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥م ؛ حيث سافر عدد من ضباط الصف الأول فيه إلى ميدان القتال في فلسطين كجمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف وكمال الدين حسين وغابوا عن مصر لفترة .

ثم مرت بالجماعة والتنظيم محنة الحلِّ والاعتقالات التي طالت أغلب رجالها وقادتها وأوقفت حركة أقسامها المختلفة، ومنها بالطبع الحركة داخل الجيش.

وبعد عودة الضباط من ميدان الجهاد في فلسطين وخروج الإخوان من المعتقلات بدأت مرحلة جديدة من العمل والعلاقات بين الإخوان وضباط الجيش، تغيرت فيها الظروف والعلاقات والشخصيات تغيرًا كبيرًا .

([1]) توفيق إكليمندوس " "النشاط السياسي في الجيش المصري من ١٩٣٦م إلى ١٩٥٤م." نقلا عن موقع إخوان أون لاين .

الأدلة على صلة تنظيم الضباط الأحرار بالإخوان

لقد اعترف كثير من الضباط الأحرار في شهادتهم لأحمد حمروش بصلة تنظيم الضباط الأحرار بالتنظيم السري للإخوان المسلمين ومن هذه الشهادات :

شهادة كمال الدين حسين (عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وعضو مجلس قيادة الثورة ، ووزير التعليم في الحقبة الناصرية) يقول كمال الدين حسين: "انتميت إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان معي عدد من الزملاء منهم جمال عبد الناصر وعبد المنعم عبد الرءوف .

كنا نتصل بالمرشد العام المرحوم حسن البنا ، وضابط الجيش المتقاعد محمود لبيب الذي عاش فترة في ألمانيا .وبقيت محتفظاً بهذه الصلة بشكل تنظيمي حتى تطوعت في حرب فلسطين وشاركت المتطوعين من الإخوان المسلمين جهادهم هناك ، وبعد ١٥ مايو ١٩٤٨ توطدت الصلة بعد ذلك بعدد كبير من الضباط .. واتفقنا على أن نشكل تنظيماً من الضباط لا يكون مرتبطاً بحزب أو هيئة خارجية ، ولذا ابتعدنا عن تنظيم الإخوان اقتناعاً منا بأن يكون تنظيم الجيش مستقلاً عن الأحزاب والجمعيات وشكلنا تنظيم الضباط الأحرار الذي شكلت لجنته التأسيسية الأولى من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين.

ولكن هذا لم يمنع من تعاوننا مع الإخوان المسلمين بل إنني وجمال عبد الناصر قد أبلغنا صالح أبو رقيق عضو مكتب الإرشاد بتفاصيل العملية (يقصد

قيام ثورة ٢٣ يوليو) قبل حدوثها مما جعلهم يحرسون بعض المواقع الحيوية صباح الحركة، ويذهب فريق منهم إلى طريق السويس خوفاً من تدخل بريطاني " [١]

ويقول إبراهيم بغدادي (أحد الضباط الأحرار) : " كنت منتمياً للإخوان المسلمين أقوم بتدريب متطوعيهم على ضرب النار خلف السجن الحربي بكبري القبة ، وعندما اقتربت حرب فلسطين ألغيت كل فرق الجيش التدريبية " [٢]

يقول ثروت عكاشة (أحد الضباط الأحرار ، ووزير الثقافة الأشهر في الحقبة الناصرية) : " في عام ١٩٤٥ التقيت بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أثناء دراستنا في كلية أركان حرب وتوطدت بيننا أواصر الصداقة يدعمها الشعور الوطني المشترط ، كما كانت تربطني خارج الكلية نفس الصلات بخالد محيي الدين زميلي بسلاح الفرسان ، وخلال سعينا الوطني الحائر كشباب يبحثون عن حل لإنقاذ الوطن مما تردى فيه آنذاك استقر بنا الرأي على الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين التي تضم آخرين غيرنا من الضباط الشبان في خلاياها المختلفة ، واستمرت صلاتنا بتلك الجماعة حتى نشبت حرب فلسطين التي اشتركنا فيها وانقطعت صلتنا بها منذ ذلك الحين .. وبعد عودتنا من حرب فلسطين عينت برئاسة هيئة أركان حرب الجيش ، وعين جمال عبد الناصر مدرساً بكلية أركان الحرب ، وعبد الحكيم عامر برئاسة المشاة وبدأ كلاهما يدعو إلى تشكيل تنظيم الضباط الأحرار وانضممت إليه بصورة تلقائية نظراً للصلات القوية بيننا " [٣]

([1]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٣.

([2]) نفسه ص ٧٤٩.

([3]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ٨١٥ ، ٨١٦ .

ويقول ثروت عكاشة في مذكراته : "كان الضابط المتقاعد محمود لبيب همزة الوصل بين المرشد العام الشيخ حسن البنا واللجنة المختارة والخلايا ، وكان هذا الضابط الكريم ذا ماض كريم غير مشوب ، هذا إلى جانب ما كان يتميز به من أخلاق سمحة وتواضع محبب مما جعلنا نجمع على إجلاله واحترامه ... وما من شك في أن انتظام الضباط في الخلايا المستقلة بجماعة الإخوان المسلمين كان البوتقة التي صهرت عدداً يُعتد به من الضباط الأحرار فيما بعد . "[1]

ويقول حسن إبراهيم (عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ،وعضو مجلس قيادة الثورة ، ونائب الرئيس جمال عبد الناصر) : " تشكل في سلاح الطيران نوع من التنظيم ضم مجموعة من الأصدقاء والزملاء : عبد اللطيف البغدادي ، ووجيه أباظة ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار صبري ، وعبد الحميد دغيدي ، ومصطفى مرتجي ، وكان عزيز المصري هو الرأس المدبرة لهذه المجموعة .

كما قمنا بالاتصال بالإخوان المسلمين من خلال الصاغ المتقاعد محمود لبيب ، وكان المرحوم حسن البنا يلتقي بنا ... وأثناء حرب فلسطين بدأ تجمعنا من جديد ، وتشكلت المجموعة التأسيسية للضباط الأحرار من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين وكمال الدين حسين ومني ثم انضم إلينا صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادي وجمال سالم وأخيرا انضم إلينا أنور السادات. "[2]

([1]) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ج ١ ص ٣٦، ٣٧ .
([2]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الثاني شهود ثورة يوليو ص ٨٢٢ .

ويقول خالد محيي الدين (عضو اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار ، وعضو مجلس قيادة الثورة) : " كان ارتباطي بالإخوان المسلمين عام ١٩٤٤ عن طريق البكباشي عبد المنعم عبد الرءوف الذي عرفني بجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وصلاح خليفة وحسين حمودة وسعد الدين توفيق من ضباط الجيش . كنت ضمن المجموعة التي انضمت للجهاز السري للإخوان المسلمين برئاسة عضو مكتبهم عبد الرحمن السندي ، والتي كانت مكونة من جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين ومني ، وقد حلفنا على السيف والمصحف ليلاً .. وفي عام ١٩٤٩ استدعى إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء جمال عبد الناصر لشبهات أحاطت به حول انضمامه للإخوان المسلمين ... أرسل لي جمال عبد الناصر ثروت عكاشة محذراً وراغباً في رؤيتي ، وفي المقابلة التي تمت في عهد حكومة حسين سري في أواخر ١٩٤٩ وجدت عنده حسن إبراهيم ، وكمال الدين حسين ، وفي هذا الاجتماع قال جمال عبد الناصر : يجب أن نتكتل كضباط دفاعاً عن وجودنا حتى لا نساق إلى حرب أخرى وندخل في لعبة السياسة ثم سألنا هل أنتم مستعدون ؟ وأجبنا بالإيجاب . وانضم إلينا عبد الحكيم عامر بترشيح من جمال عبد الناصر ، وعبد اللطيف البغدادي بترشيح من حسن إبراهيم ، وصلاح سالم في عام ١٩٥٠، وفي يناير أحضر البغدادي معه جمال سالم ثم انضم إلينا أنور السادات". [١]

وفي شهادة اللواء جمال حماد (أحد الضباط الأحرار ، وكاتب البيان الأول للثورة ، وأحد مؤرخي ثورة يوليو) لمذيع قناة الجزيرة أحمد منصور أكد صلة تنظيم الضباط الأحرار بتنظيم الأخوان المسلمين.

([1]) نفسه ص ٨٥١ ، ٨٥٢.

" أحمد منصور : الرواية (يقصد قصة نشأة الضباط الأحرار) أخذتها من كمال الدين حسين في روايته إلى سامي جوهر في كتاب "الصامتون يتكلمون"، ومن الشهود الذين جمع منهم أحمد حمروش شهادتهم في كتابه "شهود ثورة يوليو" معظمهم من الضباط الأحرار ، وما رواه عبد المنعم عبد الرءوف في مذكراته "أرغمت فاروق على التنازل عن العرش" وما كتبه حسين حمودة في مذكراته "الضباط الأحرار والأخوان المسلمون " وخلاصة الروايات دي أن كثيراً من هؤلاء الضباط الأحرار كانوا في الأصل ينتمون إلى الإخوان المسلمين وأنهم كانوا جزءاً من التنظيم الذي أسسه الصاغ محمود لبيب في الفترة من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٨ ومحمود لبيب كان وكيل حسن البنا مرشد الأخوان للشئون العسكرية وجمع هؤلاء الضباط وأسس منهم تنظيماً ولم يكن أحد يعلم بأسماء التنظيم كافة إلا شخصين، محمود لبيب وحسن البنا، حسن البنا قتل في فبراير ١٩٤٩. محمود لبيب في سنة ١٩٤٩ كان يصارع الموت على فراش المرض، استدعى شخصين حتى يعطيهم أسماء كل التنظيم، هم عبد المنعم عبد الرءوف وجمال عبد الناصر. تخلَّف عبد المنعم عبد الرؤوف – لم يذهب – وذهب جمال عبد الناصر فأعطاه محمود لبيب كافة أسماء الضباط الأحرار في كل الأسلحة فاستخدمهم جمال عبد الناصر ليكونوا نواة أساسية في تأسيس تنظيم الضباط الأحرار .

جمال حماد: هذه الرواية صحيحة ١٠٠% لأنه أنا اللي أعرفه أن جمال عبد الناصر نواة التنظيم بتاعته كانت الضباط اللي منضمين للإخوان المسلمين وهم لما انضموا للإخوان المسلمين وكثر عدد الضباط فحسن البنا عمل لهم بقى جناحاً مخصوصاً في الإخوان المسلمين وخلى اتصالاتهم كلها بالصاغ محمود لبيب،

الرجل ده كان ضابطاً وكان في ألمانيا ورجع وبتاع، فهو الوحيد اللي كان بيتعامل معهم، ففعلاً الضباط الأحرار النواة بتاعتهم كلهم من الأخوان المسلمين. " [1]

إذن لم يكن تنظيم الضباط الأحرار إلا امتداداً للتنظيم السري للإخوان المسلمين وأن مؤسسي الخلية الأولى له كانوا جميعاً ممن اتصلوا بجماعة الإخوان بل إن أربعة منهم من أعضاء التنظيم السري للإخوان المسلمين الذين أقسموا على السيف والمصحف وهم : جمال عبد الناصر ، وخالد محيي الدين ، وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم عبد الرءوف .

كانت العلاقة بين الإخوان والضباط الأحرار معروفة فمحمد نجيب يقول : " إنني أعرف أن الإخوان كانوا أول من ساعدوا عبد الناصر في تنظيم الضباط الأحرار.. وكان بين عبد الناصر وبينهم تاريخ طويل قبل الثورة . " [2]

ويقول محمد نجيب أيضا : " وأذكر يوم طلبنا من الأحزاب أن تنظم نفسها أن طلب عند الناصر عدم اعتبار الإخوان حزباً حتى لا ينطبق عليهم القانون ، وقال لي : " إن جماعة الإخوان كانت أكبر أعوان الحركة قبل قيامها ، ولا يصح أن نطبق عليها قانون الأحزاب . " [3]

***

(1) جمال حماد في برنامج " شاهد على العصر " قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ١٠/ ١١ / ٢٠٠٨.
(2) محمد نجيب " كنت رئيسا لمصر " مرجع سابق ط٢ ص ١٦٧.
(3) أنور السادات " أسرار الثورة المصرية " مرجع سابق ص ١٦٩ .